***تدميرية الإنسان في رواية "بيت على نهر دجلة" لمهدي عيسى الصقر***

 ***( دراسة نفسية )***

 ***يصاب الإنسان أثناء الحروب بتوتر وجودي .يؤدي إلى تراكمات مزمنة تتخذ طابعًا اضطهاديًا عنيفاً ، هذا العنف الذي يقود إلى صراعات دموية جماعية تنفجر في لحظة ما من تاريخ المجتمع، مخلفة إنسانًا مقهورًا في حالة تعبئة نفسية دائمة الاستعداد للصراع , و يتجسد هذا الصراع واقعياً في أفعال دموية ذات أبعاد كارثية، ،تتراوح بين الذهول و الذعر، محققًة بذلك انفجارات نفسية تزلزل أركان الإنسان، و تغيّر بنيته بشكل جذري، عندما تخلق وضعا مأزقيا يُشكل أهم خصائص بنية القهر التي يتميز بها هذا العالم المضطرب، عالم "بيت على نهر دجلة".***

 ***و لتحديد معالم هذا الواقع المتقلب، اعتمد مهدي عيسى الصقر على جهاز مفهومي مكنه من الولوج إلى قلب الحقيقة الإنسانية، حيث قام بإخراج كتلة المكبوتات إلى شبكة سردية ودلالية، جاهزة لتموضع في البنية اللغوية، بعد أنّ كانت مدفونة في ظلمات النفس و اللاوعي .***

 ***فكيف قاربت رواية "بيت على نهر دجلة " موضوع تدمير الإنسان في ظل تجربة الحرب العراقية على المستوى النفسي ؟***

 ***توجهت رواية*** *" بيت على نهر دجلة "* ***منذ البداية إلى إنسان حالم و مدمر, بالنماذج التي عرضتها , من حالات الجنون و الإحباط المزمن، حين صورت تاريخ العالم الحديث، و أهم أسسه المبنية على سلاسل متنوعة من القتل و الجرائم المرتكبة في حق الجنس البشري، حيث كانت المجتمعات الحديثة تمارس عنفاً مضاعفاً أدى إلى وقوعها في هوة من الدمّار و الحروب غير المنتهية. كما جعلت الرواية الحرب طريقاً مفتوحة ً على العداوات و القلق و الاضطهاد، حتى أضطر الإنسان إلى إعلان حزنه و حداده على هذا العالم الغريب، المتنافر في فظائعه و جنونه، الذي وضعه في وجهة مقابلة للقتل و الإبادة، و ذلك عندما خلصه من تكوينه الحضاري و علمه أنه جوهر الدماّر و خلاصة تاريخ مفعم بالجريمة و القتل .***

***حولت الرواية الحرب إلى ممارسة إنسانية تعتمد على آلية الكبت، الذي يقيم تحت سقف التجاذب الوجداني – الحب, الكراهية/ البناء. التدمير– الحاضر في كل الأنشطة البشرية و يتحكم بعلاقات الإنسان الاجتماعية، و القادر على خلق حالات نفسية تُسير النفس البشرية إما إيجاباً أو سلباً، من خلال ظواهر عديدة كالإحباط،و النزعة التدميرية، و العدوانية و العنف التي كانت تحرك شخصيات الرواية بطرق غير مباشرة .ومن خلال انهيار علاقات التفاعل و المشاركة، و الانغلاق على الذات وجدت الشخصيات المقهورة حلاً سحريًا لمأزقها من خلال آلية الانشطار العاطفي و الوجداني(\*)، هذا الانشطار الذي عزز تناقضاتها الداخلية مخلفًا عقبة وجودية تقوم على أبعاد كارثية، توجه طاقات الإنسان نحو العزلة و الانغلاق.***

 ***فقد أصيب سعيد و هو الشخصية البطلة بحالة من الجنون, المتمثلة في تناقض******عقلي جعله يجمع بين الحقيقة******و الخيال، في الوقت نفسه، و ذلك بسبب المعارك الدامية التي حولت هذه الشخصية المثقفة إلى كائن مٌدجن* *، مشلول الإرادة، خائر القوى، يعاني اضطرابات حياتية كثيرة.***

 ***إن ما يشكل هوية الإنسان هو قدرته على المخاطرة بحياته عن وعي، فهل كان سعيد يخاطر بحياته عن وعي ؟! هذا السؤال وضع سعيد موضع الاستفهام، فكيف لشخصية مثقفة حالمة, طامحة, تتحول إلى إنسان مدمر, محطم ومحبط، ميت خالي من الأبعاد الإنسانية؟ و هل حياته في المعتقلات هي سبب حالته المتأزمة؟***

 ***دمرت الحرب نفسية سعيد، عندما حولته إلى شخصية مريضة تخلط بين الأفراد و الأزمنة والأ مكنة والأحداث، تعيش طوال الوقت حالة من الهذيان الذي ولد لديه نوعًا من الاضطراب الفكري الوجداني،و القائم في الأساس على إدراك خاطئ، نشأ عن تفسيرا ت شوشت ً نظام الأفكار، و الأحكام و المعتقدات التي كانت تشبع الحياة الوجدانية و تخلق علاقة انسجام مع العالم الخارجي.***

 ***و هذيان سعيد موضوعه الاضطهاد لأنّ آلياته مبنية على الوهم و الانخداع، الذي أدى إلى ضبابية ساهمت في ظهور خصام كلي تقريباً، تسبب في حالة الكلام غير المنطقي في أغلب الأحيان:***

***« لماذا تريدني أن أفتح الباب.***

***حتى لا يموت الهواء، و لكن الآخرين في الخارج يسمعون كلامنا المحقق معه حتى...***

***مرة و أنا مسافر شاهدنهم يتحلقون حول جثتي ... ».(1)***

***تنامي النزعة التدميرية لدى سعيد راجع أصلاً إلى عدم قدرته على تحمل العجز، و العزلة التي أفقدته الاتصال الحيوي مع الواقع و حولته إلى شخصية مرضية غير متكيفة اجتماعياً , منطوية على ذاتها و على عالمها الخارجي الذي تسعى إلى تدميره، ومن هنا أصبحت التدميرية سعي دائم داخلها ينتظر فرصة التنفيس.***

***« ... فيجلس ساكناً يتأمل الحرائق الصغيرة المشتعلة من حوله...***

***لا بأس سوف يحصل على النار التي يريدها في يوم من الأيام...***

***و يشعل حريقه الكبير***

***فهُم لا يستطيعون أن يمنعوا عنه مصادر النيران إلى الأبد ! (2)***

***خلقت******العزلة لديه النزعة التدميرية و بذلك أغلقت أمامه أبواب تحقيق إمكانياته الحسية و العاطفية والعقلية و ساهمت في تسيير هذه النفس البشرية، عندما سببت نقصا في الأمان الداخلي و التلقائية، حتى ازداد و تفاقم الانغلاق الباطني لدى سعيد و أصبح نواة جوهرية تسيطر على هذه النفس البشرية بدرجات متفاوتة.***

***تعد العدوانية من المشكلات البشرية الدائمة . فكل الأديان و الفلسفات . و كل المعايير و القوانين . و القواعد السلوكية اهتمت بتنظيمها و ضبطها . كما أن الإنسان مازال حائرا حتى الآن في عدوانيته و كيفية السيطرة عليها . و بين ردها إلى الداخل******(اتهام الذات ) أوالى الخارج (اتهام الطبيعة البشرية ). حاول البعض السيطرة عليها بفلسفتها و عقلنتها . لإفراغها من شحنتها النزوية . و رأى البعض الأخر أنها شر يميز الوجود الإنساني . لا خلاص منه .يصيب الخصائص الجوهرية للإنسان الغاضب (3) الذي تتضمنه مجموعة التوجيهات التي لا تكبح هذه الحالة و لا تسطر .***

***تكمن النزعة التدميرية\* بشكل خالص في نفسية سعيد , لأن ذاته تعاني من حرب داخلية راكدة في الأعماق . فغير مستبعد أن يكون مكرهاً على قذف هذا العالم الصاخب الذي يعذبه خارج وجدانه ,من خلال محاولة إحراقه بما تختلسه يداه ـ من علبة كبريت ـ سعيا إلى النهوض من رماده البالي , نظير طائر الفنيق بطلا , و مجده في ذلك تحقيق إنسانيته او على الأقل تحقيق ذاته في عالم كل ما فيه يسحق الإنسان و يدمره .***

***" لكنه مأخوذ باشتعال النار الجميلة التي يمتلكها الآن بين أصابعه بذرة صغيرة لحريق مهول يأتي على كل شيء......***

***يضحك مسرورا ثم يقذف بالعود المشتعل .."(4)***

 ***أعلن سعيد بوصفه ثائرًا ميتافيزيقيا(\*)عن خيبة أمله عندما ثار على عالم ممزق مغيراً مبدأ الظلم المتفشي في الواقع بمبدأ العدل القائم في نفسه ، فهو شخصية تنكر الموت، و في الوقت نفسه ترفض القوة التي تلزمها بالحياة، لأنّ نفسيتها المدمرة سيطرت عليها مجموعة من الأفكار الخاطئة عن الخضوع لأذية معنوية، اجتماعية، فهو يعتقد بأنه مراقب، و هناك أحد يتتبعه، و أنّ شخصاً أو أشخاصاً ( أوكل الناس ) يتجسسون عليه، يشير إليهم و لا يعرفهم حتى، لأنه لا يندمج معهم اجتماعياً.***

***«... ينظر إلى الباب الموصد يشعر أنه محاصر يخرج يديه من بين فخذيه و ينهض ينتفض المحقق إلى أين ؟ يقول له : أريد أشوف أمي ... »(5)***

 ***خلقت الحرب لديه حالة اضطراب مزمنة جعلته يخشى المجتمع، و الواقع و الحياة، و حولته إلى شخصية هشة ترفض الانسجام مع العالم* *و تفضل الانغلاق على عوالم الذات المرضية، و هذه الحالة اضطرته إلى خلق روابط* تنظم علاقاته مع العالم الخارجي، و لعل أهم هذه الروابط على الإطلاق أخته"ساهرة"،التي كانت تمثل الحقيقة الوحيدة في عالمه الهستيري،فقد كان تعلقه بها مرضيًا جعله يخاف من غضبها و يسعى دوماً لإرضائها و خلق لديه نوعاً من الالتصاق المرضي Adhésivité))\* دفعه إلى ميل مرضي نحو أخته،التي تقلل من اضطراباته وتعطيه نوعاً من *السكينة الداخلية- أو الاطمئنان (Ataraxie)- المفقودة في عالم المتناقضات الذي يعيش فيه .***

**« ... أنت تريد حرقنا ، تحرق البيت تحرق نفسك تحرق أمك سألته بنفاذ صبر قال لها أمي لا أنت لا و ضغط على يدها ..."(6)**

 ***أصبح سعيد كطفل كسيٍر ينظر إلى عالمه المخيف بعيني أمه المحبّة، فبمجرد عودته تحولت ساهرة إلى أمه، حتى أنه لايعي أو يدرك أن هذه المرأة كانت في يوم من الأيام أخته الكبرى ,لأن منطقة اللاوعي عنده أصابها نوع من التلف فجنونه قضى على جميع الاعتبارات و الأفكار و العلاقات فيها ,لتحتفظ بصــورة الأم فقط , و التي أُسقطت بطريقة ألية علــى ساهــرة , لأنها تشتــرك معــها في صفة, : الحنان و العطف و الرعاية و العطاء, فعقله الباطن رفض الاعتراف بولديه و زوجته و أخته، و كأنّ الإنسان عند الجنون يتحول إلى طفل ضعيف يحتاج إلى أم تساعده على شق مسارب هذا العالم المجهول فقط.***

 ***لكن هذه الصورة المثالية تحطمت بمجرد زواج أخته من رجل غريب - على حد تعبيره -، فقد أصبح هنالك من يشاركه أمه، التي كانت ملكه وحده، و من هنا زادت شحنات العدوانية و التدميرية لدى سعيد، و هكذا أصبحت ساهرة هي الأخرى تستحق العذاب و المعاناة لأنها تركته وسط هذه الفوضى العمياء و انصرفت إلى حياتها الخاصة مع ذلك المتطفل الذي اختلس حياته و أرقها لذا قرر أن يحول هذه الحياة إلى جحيم ليحقق العدالة الإلهية.***

***« ...و سمعت مصعوقة ابني سعيد يقول للرجل أنّ السلاح الذي تبحثون عنه تحتفظ به في غرفتها ! "صحت به من أين جئت بهذا الكلام"***

***... إنها تحتفظ به في سريرها منذ جاءت به، و هي تحتفظ به في سريرها .»(7)***

 ***إنّ الأحداث الدموية الرهيبة التي عاشها سعيد أفقدته غريزة حب الحياة، و نقلته إلى زمن الموت و النهايات – نهاية الإنسان - ، زمن تتصارع فيه الحقائق قبل القوى، تتصارع فيه القيم و الأفكار و الوقائع و الأحداث , و من هنا بدأت علاقة الصدام بين سعيد و العالم الخارجي، في اللحظات يُفترض أن يكون فيها انسجام خارجي و توازن داخلي، انغمس سعيد في فعل الحرب، و فقد عالمه المنشود، و خرج من دائرة الكبت إلى دائرة المسكوت عنه، و أصابه اضطراب في منطقة اللاشعور أعطاه رغبة عارمة، اجتاحته و دعته من طرف خفي إلى الموت و الجنون، و من هنا لم يبق مجال للبحث عن مفهوم الحياة تحت سلطان التأمل، حيث تسلسلت أليه فكرة متسلطة فرضت نفسها بقوة عندما شوشت مضمون فكره، و جنحت لاجتياح مجال عقله و طلبت كل الانتباه, و كرست مفهوم رفض الواقع عندما دعت للخلاص منه، حينئذ أصيب سعيد بألم معنوي زاد من حالة السوداوية لديه، و كان جنونه رد فعل طبيعي على هذا الوضع السيئ المبني في الأساس على دوافع مكبوتة رفضت واقع الحرب الأليم.***

 ***قد يكون جنون سعيد تعبيراً عن خيبة جماعية، أو ترجمة لعطب نفسي لا علاج له، أو بحثا عن إجابة نهائية لا تسمح بها الحياة، لأن عالمه الخارجي كما رسمته الرواية في تفاصيله الدقيقة، يبعث على الجنون احتجاجاً على واقع هجره المنطق و القيم ، و اختصر أحداثه في الخراب و الدمار و الفقر و الموت، استوعبت الرواية عالماً بارداً أرهقته الحياة المدمرة، دفع بشخوصه إلى اختيار الموت أو الجنون، حيث لا شيء ينتظرهم بعد أن أدمنت مدينتهم الحرب و اتخذتها بديلاً لكل شيء.***

 ***لم يكن سعيد هو الوحيد الذي يعاني نفسياً، لأنّ ساهرة أيضاً كانت تشاركه اضطرابات نفسية عديدة جعلتها تعاني من صراع باطني في منطقتي الوعي و اللاوعي، فهي تعي أنها أم لأخويها، لهذا مارست شعور الأمومة عن اقتناع في مستوى الوعي، لكن في المستوى الثاني – اللاوعي – طفت صرخات مكبوتة كتمتها لتكرس حياتها لأخويها و حسب، متناسية بذلك كل المشاعر الإنسانية التي تشعر بها أي امرأة اتجاه هذا العالم الدنيوي، و مكتفية بتخزين مشاعرها الأنثوية في زاوية الكبت (Refoulement)\*، التي تحولت مع مرور الوقت إلى يأس كبير .***

 ***«...قالت ابني الكبير...و لكنه قاطعها أنت تقصدين أخاك الكبير، لم تعبأ باعتراضه. قالت مرة أخرى سالم ابني الكبير تخرج مهندساً للبناء...ثم رحل أبي...و بقيت أنا في البيت لا أفكر في الزواج إنما في السهر على راحتهما، قال لها الطبيب بعد أنّ نفخ دخاناً وهمياً في الهواء و هكذا تحدد مصيــــــــرك ! . "(8)***

 ***لم تكن مسؤولية الأخوين السبب الوحيد في عدم زواجها، فالضغوطات و التهديدات التي تعرضت لها في حياتها جعلتها تلغي فكرة الزواج من حياتها, و حــتى زواجــها فيــما بعــد لم يكن بهدف أنثوي يجنح إلى التعمير و البناء و إنما لسبب اضطراري فقط، كونها كانت تحتاج إلى شخص يساعدها في حالة سعيد المتأزمة، و هكذا جعلت من زواجها حمالة هموم ليس إلا, لأنه رغم محولات زوجها بقي مضطرباً كحالة أخيها سعيد.***

 ***«... هذا المحامي القادم من الجنوب، و الذي تعرفت عليه بالمصادفة، بعد منتصف إحدى الليالي لا يريد أن يشغلهــا بأحّزانــه، ربمــا انشغالهــا عنــه بمــرض ابنهــا هــو السبــب، و لكــن مـــــاذا بوسعـــــها أن تفعل ؟! »(9)***

 ***جعلت الحرب ساهرة تفكر بأنا واعية مجردة من أبعادها الإنسانية ترى أن الحياة المدمرة لا تستحق الانتظار، لأنّها تضع الإنسان على مشارف النهاية رغم أن خطوات البداية مازالت لم تستقر بعد ، فهي تعاني من اكتئاب ارتكاسي (Reactionnel )(10) ، كونها ارتكزت على مجموعة من الأفكار الواهية بررت بها رفضها المطلق لمكبوتاتها.***

 ***و نجدها ترفض فكرة مرضها النفسي، كونها ترى أنّ ما تفكر به هو الصواب في عالم يجمع المتناقضات لا ينبأ بالخير و لا يبعث على الحياة لأنه يحرض إما على الجنون أو على الموت .***

 ***«أخذ الطبيب أنفاساً من سيجارته و نفخ في الهواء، ثم نظر إليها. اقترح عليها أن تتمدد على الديوان و تكمل حكايتها. قالت له أنها ليست مريضة قال إنه يعرف. و أنّ أخاها هو المريض.»(2)***

 ***و غير بعيد ٍ عن ساهرة عانت فاتن زوجة سعيد أيضا تأزمًا نفسيًا خطيرًا , فبعد سقوط زوجها في إحدى المعارك تعرضت لصدمة نفسية كبيرة، عندما رأت أناسًا تحولت جثثهم إلى نفايات تتناثر هنا و هناك، و هذا المنظر أحدث تناقضا داخليًا، و غير الرؤى و المعالم لديها، حيث أصبحت تفكر انطلاقاً من أنا فردية أنانية تبحث عن مصلحتها و حسب ، لأن بغداد تحولت إلى بقايا مبعثرة مشتتة لا تستحق إعادة النظر حتى, و كل هذه البواعث عززت الإحباط في أعماقها المهتزة بسبب قانون الحياة الجائر الذي أفقد الإنسان قيمته ووجوده.***

 ***« تقف مشلولة تخاف الاقتراب من ذلك الصندوق المكشوف. راحت تختلس النظر في رهبة إلى الجثة الممدة في داخله، ... يحيرها مشهد العينين، فما هذا الذي يملأ المحجرين و يغطي المقتلين...***

 ***( البوية ) البيضاء ! ؟ سمعت مدير المركز يقول أمراً.***

***' امسحوا الدود عن عينيه ! '***

***... أي رائحة هذه التي تنبعث من الصندوق !؟»(11)***

 ***غير أن شعورها بالذنب اللاواعي بعد عودة سعيد جعل نفسيتها خاضعة لقلق رهيب زاد من تأزم حالتها و عزز شتاتها الذي أصبح جوهر وجودها الإنساني، فهي تعلم في أعماقها أن زواجها الثاني كان غلطة، لكنها تظهر العكس محاولة خلق الأعذار والتبريرات التي تجنبها تساؤل الآخرين وتجعل منها ضحية الظروف والأحداث.***

 ***«قالت له : أنت معك حق . لا تعرف شيئاً ! رجعت من هناك فوجدتني امرأة لرجل آخر، و لكن من أين كنت أعرف أنك لم ... ! و نظرت إلى وجهي مستنجدة ... أطرقت برأسها و لم تقل شيئاً لبعض******الوقت ... ثم رفعت رأسها و تكلمت بصوت أعلى و بنبرة خانقة ' ماذا تريدني أن أفعل ؟! كنت أعتقد أنني غدوت أرملة، و أرامل كثيرات تزوجن مرة ثانية.***

***أنا لست الوحيدة التي ... ! »(12***

 ***تعاني فاتن أيضاً من البوفاريَة ( الهروب من الواقع ) ـ- Bovarysme (13)و هي نزعة نفسية جعلت طموحاتها الاجتماعية و الثقافية غير مشبعة، إذ قادتها بطريقة غير واعية لحياة إستهامية و حالمة، و جدتها مع زوجها الثاني، و كل هذا بهدف الهروب من الواقع الذي كانت تعيشه، لا بهدف التعويض الناتج عن غياب التوازن الداخلي، فهي أرادت أنّ تشعر بسكينة داخلية تخلصها من الخوف و الاضطهاد و القهر الذي رافقها و التصق بها بعد غياب زوجها الأول.***

 ***و غير بعيدٍ عن فاتن كان ماجد زوج ساهرة يعاني عقدة الخوف التي لونت نفسيته المضطربة عندما تحولت إلى محرك أساسي في حياته، حتى أنها دفعته إلى زواج صوري، فبعد وفاة أسرته بسبب القصف أصبح ماجد يخاف من الوجود، من الوحدة القاتلة و من الحياة الأليمة و المخيفة. حتى زواجه من ساهرة كان نوعاً من الهروب ليس الا تخَلص به من حياة الخوف, لكنه قذفه إلى حياة العذاب الدائم، و لتجنب العزلة اختار ماجد لنفسه ألم أكبر، و هو ألم القلق و*** *ا****لعجز، و كل هذه الأحاسيس المظلمة جعلته يعاني على الصعيد النفسي و الجسدي، حيث أصبح يحس بنوبات من الهلع تصيب جسده بالكامل .***

***و***

 ***« حين فتحت عيني رأيت أن الذي كان يختض هو جسد زوجي النائم على الجانب الثاني من الفراش متشبثاً بالغطاء، أسنانه تصطك و عيناه تنظران إلى وجهي باستغاثة ... وجهه الشاحب ... جبينه المبلول وجدته بارداً حمدت الله أن زوجها لم يكن محموماً . »(14)***

 ***فقد كان يعاني من انقلاب هستيري Conversion Hystérique\* حول نزاعه النفسي إلى مظهر جسدي ذي شحنة رمزية عالية تزيد من اضطراباته الحسية، فماجد لديه أنا واعية ترغب في العيش باستقرار، لكن شعورها بالقلق (Anxiété) استحوذ على منطقة اللاوعي و سيطر عليها، فحولت هذه النفس البشرية إلى شخصية منكسرة مدمرة راضخة لظروف و رازحة تحت سلطة القدر المشؤوم الذي كتب عليها.***

 ***و الغريب في هذه الرواية أنّ الطبيب الذي يعالج هذه النفسيات القلقة و المضطربة يصاب بالجنون أيضا، فهذه الشخصية المعالجة تسلل إليها شعور الإحباط و اليأس، بسبب استماعها المطول لمرضاها زاد شعورها بالسوداوية. رغم وعيها بهذا المرض النفسي، تحولت هذه النفسية إلى خزان كبير استوعب هموم هؤلاء و أمراضهم، أوجاعهم، ألامهم، هلوستهم وساوسهم، مخاوفهم، أزماتهم، اضطراباتهم، انكساراتهم ... حتى انتقلت هذه المرتكزات النفسية لشخصية المعالجة في حد ذاتها، و أصابتها بضياع كبير أدى إلى جنونها.***

***« يتكلم الدكتور سالم بعد الصمت الطويل، و يتابع قائلاً :***

***" و أنا أدخلها كل يوم، سنوات و سنوات و أنا أنزل فيها، كل يوم، باستثناء أيام الجمع، و العطل طبعاً ... كل يوم، فهم يقصدونني من كل مكان من البلد، يأتون من الشمال، يأتون من الوسط، و يلقون بثقل عذاباتهم، و أحزانهم، على صدري ! "***

***يضنونني المسيح بن مريم ! و هكذا تدمرت روحي ! » (15)***

 ***فهذا العالم المريض أدى إلى تدمير الطبيب و مرضاه، عندما أرق حياتهم و حولها إلى موت و دمار، و بعثر ذكريات طفولتهم، و طمس معانيهم الإنسانية و أقبرها لأنّ شعاره في ذلك الحرب ! و لا شيء غير الحرب فالمستوى النفسي في هذه الرواية يمتاز بالتأزيم و التباكي و العرقلة المصحوبة بالتشاؤم و السوداوية، التي فُرضت على شخصيات تعاني همّا غائراً إلى آمال عريضة محبطة في أعماقها.***

 ***فباختفاء القيم الإنسانية من عالم الرواية، عاد أفرادها إلى ميولاتهم المكبوتة، فانزلق البعض منهم إلى الجنون التام القادر على ارتكاب الجرائم و ممارسة العنف و إلحاق الأذى بأنفسهم و بالآخرين لأن النزعة العدوانية سيطرت على أعمالهم و نشاطاتهم ، في حين بقي البعض الآخر في حلقة اليأس و الإحباط القاتل.***

 ***فإذا كان الوعي هو الوسيلة الوحيدة للتحرر ( و التفكير في المسكوت عنه، و اللامفكر فيه) ، فتلك الشخصيات لم تع حقيقة وجودها، و لم تفهم ماهية الحياة المرتبطة بالوجود و المقاومة من أجل عالم أفضل.***

 ***و كرست مفهوم نفي الحرية و إقصاء الذات، لأنّ من يفقد الحرية يفقد هويتة الإنسانية، كما أنها لم تستطع تحطيم أصنام العقل المرتبطة بالخوف و الهلع من المجهول، إذ منطق الحرب و حده هو الذي ينقذنا من الانحدار الإنساني، حيث ينشد حق الأرض، حق الإنسان، حق الوجود، هذه الحقوق التي سلبت و اعتدي عليها في واقع يحركه الأقوى الذي يميل إلى تزييف الحقائق و يرى في عنفه و تدميره " حقاً " و دفاعاً استراتيجياً ضد ما يعتبره أخطاراً تهدد أمنه الوهمي.***

 ***فتلك الشخصيات لم تع فكرة المستقبل الذي هو رهانها على أنّ تغير ما هي عليه، فكراً و ممارسة، بالخروج من قوقعة الخوف و التحرر من الأفكار المسبقة، لكي تغير علاقتها بذواتها أولاً و بالواقع ثانياً، و لن يتأتى ذلك إلا بالخروج من معسكرات عقائد الحرب المنغلقة، لآنّ الذي جرى للعراق هو محصلة نزعة مريضة شريرة و شرسة لتدمير الإنسان من داخله و ما تمخض عنها من استنزاف نفسي لطاقاته الإنسانية و الروحية و المادية .***

***ـ و في النهاية نستنتج أن رواية "بيت على نهر دجلة " بواقعيتها أكدت على خصوصية الحدث الحربي ,عندما اعتمدت على استراتيجية روائية مزجت الرؤية السياسية بالقضايا النفسية , وفق اَليات فنية جديدة سلطت الضوء على هموم الانسان بالدرجة الأولى .***

***.ـ كما نقلت رواية "بيت على نهر دجلة "مجتمعا كسيرا يعكس انهيارا خارجيا ,يحرك شخصيات ممزقة و معذبة تدور في حلقة من التناقض , فلا هي راضية بما تعيشه و لا هي قادرة على تجاوزه ,و هذا ما دفعها في الأخير الى رثاء أحلامها و هويتها القومية التي كلما حاولت ترميم ذاتها تصدعت من جديد.***

***الـهوامـش :***

*(\*) ـ الانشطار العاطفي و الوجداني : هو مجموعة العواطف المتجاذبة التي يمتزج فيها الحب و الكره، التقرب و التنافر، التعاون و الصراع .*

*(1) ـ مهدي عيسى الصقر : بيت على نهر دجلة، دار الهدى، ط 1، 2006. ص 91.*

*(2) ـ ميشيل غود فريد:مصطلحات في علم النفس و الطب النفسي، تر: حبيب نصر الله ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 150.*

*(3) ـ المصدر السابق. ص 32.*

*)4 (- Fausto Aatonini L’homme Furieux . Introduction par Gaston Bout houl . Hachette. Paris . 1970. P . 9 .*

*(5) ـ مهدي عيسى الصقر : بيت على نهر دجلة،ص 32.*

*(\*) ـ الثائر الميتافيزيقي: هو الذي يحتج على الوضع المقدر له بوصفه إنسانًا.*

 *الثورة الميتافيزيقية: وهي ثورة على الوجود، لا على حالة من حالاته، و هذه الثورة العامة يعرفها كامي « بأنّها الحركة التي بها يثور المرء على حالة و على الخليقة كلها».*

*(6) ـ مهدي عيسى الصقر : بيت على نهر دجلة، ص 90.*

*(7) ـ ميشيل غود فريد:مصطلحات في علم النفس و الطب النفسي . ص 88*

*(8) ـ المصدر السابق.ص 51.*

*(9) ـ مهدي عيسى الصقر : بيت على نهر دجلة، ص76.75.*

*(10) ـ ميشيل غود فريد:مصطلحات في علم النفس و الطب النفسي .ص 18.*

*(11) ـ مهدي عيسى الصقر : بيت على نهر دجلة،ص44.*

*(12) ـ المصدر نفسه ، ص 08.*

*(\*) ـ الاكتئاب الارتكاسي : هو ردة فعل على وضع صعب التحمل .*

*(13) ـ مهدي عيسى الصقر : بيت على نهر دجلة .ص.158*

*(14) ـالمصدر نفسه.ص99.98.*

*(15) مهدي عيسى الصقر : بيت على نهر دجلة ، ص.*

*(\*) البوفارية (الهروب من الواقع): هي مفهوم أُخذ من رواية "مدام بوفاري" للروائي غوستاف فلوبير عام 1865، و هي نزعة نفسية تقود الشخص إلى اللجوء لحياة استيهامية و حالمة، على المستوى العاطفي خاصة، بهدف الهروب من الواقع المعيش كواقع مدام بوفاري مثلاً.*

*(16) ـ مهدي عيسى الصقر : بيت على نهر دجلة، ص 61.*

*(17) ـ ميشيل غود فريد: في علم النفس و الطب النفسي. ص 59*

*(18) ـ مهدي عيسى الصقر : بيت على نهر دجلة، ص(187) .*